المحاضرة الرابعة عشر: المفارقة في القصة العربية القصيرة

تعتبر "المفارقة" أو"عكس التوقع" من أهم مميزات الأقصوصة ..وكذلك "السخرية"، التي تتضح في رد الفعل، **يقول جاسم خلف الياس** : " تُعدّ **المفارقة** لعبة عقلية ذكية ، إذ على الرغم من أنها إستراتيجية في الإحباط واللامبالاة وخيبة الأمل ؛ إلا إنها في الوقت نفسه تنطوي على جانب إيجابي ، فهي سلاح هجوميّ فعّال، وهذا السلاح هو الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد وليس عن الكوميديا .

وإذا كانت المفارقة تعني في أبسط صورها القصصية جريان حدث بصورة عفويّة على حساب حدث آخر هو المقصود في النهاية أو هي تصرّف الشخصية تصرف الجاهل بحقيقة ما يدور حوله من أمور متناقضة لوضعها الحقيقي فهي تقانة قصصية يهدف القاص من وجودها النصي الخروج على السرد المباشر وهو خروج يبعث على الإثارة والتشويق.

ويقول محمد يوب: المفارقة هي فن قول شيء من دون قوله حقيقة أي أننا في المفارقة نتوصل إلى فهم المعنى المقصود ليس من خلال ما يدل عليه لفظاً؛ بل بما يكمن في اللفظ الذي قيل من معنى لم يدل عليه القول.

إنها تؤدي المعنى الدقيق وتُحدث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تدبيراً، وذلك بخلق بنيات أو مسارات يحكمها التناقض والاختلاف حيث يحيل الضدّ على ضده فيضيئه دلالياً، كما هي مفارقة الموت والحياة، والمر والحلاوة، والسواد والبياض ..أي أنها تتمثّل في أوجه التّناقض والتّضاد في علاقات وأطراف يجب أن تكون متوافقة وكذلك فيما يظهر لنا عكس حقيقته حيث نرى العبث في الجدّ والزيف في الحقيقة ولهذا تتّصل المفارقة في كثير من صورها بالتّهكم والسخرية والدهشة والألم والإحساس بالفجيعة والمأساة، وحيث المفارقة تسير عكس أفق انتظار المتلقي، فتصدمه بقفلتها المدهشة؛ والقاص هنا ينتقي كلماته وعباراته في اتجاه تقابلي.

وترى الدكتورة **نبيلة ابراهيم** أن المفارقة تبرز في مستويين للمعنى، ضمن شريحة واحدة في التعبير؛ في مستوى سطحي يعبر عنه باللفظ، ومستوى عميق لم يعبر عنه، تجده يُلح على القارئ كي يستخرجه ..من خلال التعارض أو التناقض على المستوى الشكلي للنص..

ويرى **صلاح الدين سر الختم** أن مصطلح المفارقة، هو أن تفهم لفظاً على عكس معناه، أو تكوّن فكرة عن شيء على عكس حقيقته . ويعتبر المفارقة من أهم مقوّمات النص الإبداعي، خاصة في الأقصوصة .سواء كانت مفارقة في اللغة بين الدال والمدلول والدلالة؛ أقصد مرونة الدلالة بين اللفظ والمعنى .أو مفارقة في الموقف بين التصور أو المعرفة والفهم لعكس الحقيقة .أو مفارقة في الحركة بين الحركة الطبيعية للإنسان والحركة غير الطبيعية، سواء كانت آلية أو حيوانية أو معوقة) وهذه عادة توظف في الكوميديا .(صحيح أن كثيرين استسهلوا هذا الفن الأدبي، قراءةوكتابة، إذ إن بعض الشباب والصبايا الذين لم يقرأوا فنون الأدب، ولم يعرفوا جذوره، ولا مواصفاته، ولا حتى قواعد اللغة، صاروا يستسهلون كتابة"القصة"ولكن الزمن كفيل بتنخيل الكتابات البسيطة، خاصة على وسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة وبالمقابل، تعزيز فن الأقصوصة الأصيل.

أي أنها تتمثّل في أوجه التّناقض والتّضاد في علاقات وأطراف يجب أن تكون متوافقة، وكذلك فيما يظهر لنا عكس حقيقته، حيث نرى العبث في الجد، والزيف في الحقيقة،ولهذا تتّصل المفارقة في كثير من صورها بالتّهكم والسخرية والدهشة والألم والإحساس بالفجيعة والمأساة؛ و المفارقة تسير عكس أفق انتظار المتلقي،فتصدمه بقفلتها المدهشة؛إن القاص ينتقي كلماته وعباراته في اتجاه تقابلي؛يقوم وينهض على الدينامية و الحياة في نسيج الجملة القصصية.

والقاص لا يكتب القصة القصيرة جدا من أجل التفنن في اختيار الكلمات؛وما تحدثه من جمالية وشعرية آسرة؛وإنما يكتبها من أجل تبليغ رسالة معينة؛فيها حمولة معرفية ورؤية إلى العالم؛حيث الخطاب القصصي القصير جدا بقدر ما يستحضر رونق وجمال الكلمة البليغة بقدر ما يغوص في باطن الشخصية كاشفا عن أغوارها؛مقربا صورتها من القارئ.

ففي قصة كعكة للقاص عبد الرحيم التدلاوي نرى الكلمات تترحك في فضاء القصة القصيرة جدا لترسم مشهدا مفارقا استهله القاص بالاحتفاء العائلي بمناسبة خروج الأب من المشفى لكن النهاية كانت حزينة ضد ما كان يتوقعه القارئ حيث لم تعد كعكة الفرح هي موضوع القسمة وإنما كعكة التركة هي محل القسمة بين الإخوة المجتمعين حول جثمان الوالد.

"اجتمع الأبناء بالمنزل للاحتفاء بقرب خروج أبيهم من المشفى....هيأوا كعكة لإكمال الفرحة...رن الهاتف لقد غادر الحياة...سارعوا إلى التهام التركة"...

فالقصة القصيرة جدا اعتمدت هنا على ما يسمى بالمتوازيات وهي تقنية اقتبستها القصة القصيرة جدا من مجال الرياضيات،وهي طريقة تعتمد على السرد المتوازي في القصة الواحدة،فنرى هذا النص القصير جدا قد احتوى قصتين نقرؤهما في وقت واحد؛قصة الاحتفال بشفاء الوالد وقصة تقسيم التركة وهي مفارقة اعتمد فيها القاص السرد المتوازي،على اعتبار أن القصة القصيرة جدا بمتابة متوالية سردية فيها نقطة الانطلاق و نقطة الانزياح حيث تتعقد القصة القصيرة جدا وتبدأ تبحث عن حل مناسب لها؛ثم تنتهي بعد ذلك بنهاية وغالبا ما تكون القفلة عكس ما يتوقعه القارئ و هنا تكمن المفارقة.

إنه التوازي المحسوس الذي يلجأ إليه عبد الرحيم التدلاوي في قصصه القصيرة جدا،لكنه تواز يتكامل فنيا لخدمة القصة القصيرة جدا لديه،ومن ثم يمكننا أن نصف هذا التوازي بالتوازي المتصل،وليس المنفصل،لأنه اتصال ينبع من ارتباط وثيق بجو القصة القصيرة جدا وشخصياتها المفترضة المضمرة في الكلمات،إنه تواز يصل إلى حد الامتزاج و التآلف ليقدم وحدة واحدة هي القصة القصيرة جدا كما تقدمها طاقة التدلاوي الفنية.

فجملة واحِدة " سارعوا إلى التهام التركة " تعبّر عن الفكرة، وتنقل لنا المعنى نقلا لا يخلو من تصوير، وهذه هي بلاغة التكثيف؛ففي هذه الجملة سيل من المعاني التي تتداعى حرة في ذهن المتلقي؛يتخيلها في مخياله الذهاني؛ويترجمها إلى مجموعة من الدلالات؛تختلف باختلاف مستويات التلقي و التأويل. ففي هذه الجملة القصصية سلسلة من المحمولات المتباعدة، أوْ المُتمحْورَة حول شيءٍ واحد، لكنَّها بالرغم من تباعدها فإنها تلقي الضوء على مغزى تلك المحمولات. إنها تكتنز فيها الدوال اكتنازاً خصباً وتلتئم على شبكة من القيم والمعاني والإشارات والعلامات والرموز تتداخل فيما بينها على نحو حيوي متوالد.

ملاحظة:

لابد أن يطّلع الطلبة على محتويات المحاضرة التي قُدِّمت حضوريا.

د. أمينة أونيس